علم النفس وتطوره

لمحة تاريخية عن نشاة علم النفس :

يعد علم النفس من العلوم الحديثة نسبيا، فهو بالرغم من له ماضي طويل إلا أن تاريخه العلمي قصير فهو لم يظهر بمظهره العلمي الحديث وكعلم مستقل بذاته، محدد الموضوع والاهتمامات، إلا أنه في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، عندما أنشأ العالم الألماني (فونت) أول معلم لعلم النفس التجريبي في جامعة (ليزج) بألمانيا (1789) وقد اعتبر هذا التاريخ هو البداية الحقيقية للدراسة العلمية للسلوك الإنساني، ولكن الحقيقة هي أن علم النفس بمظهره العلمي الحديث لم يظهر فجأة، بل تمتد جذوره التاريخية إلى التراث الشرقي القديم عند (الفرس والهند) والتراث الغربي (الإغريق) وفلاسفتهم الكبار (وخاصة سقراط وأفلاطون وآرسطو)، الذين بحثوا في موضوعات عديدة مما يدخل الآن ضمن اختصاص علم النفس.

1-ماهية علم النفس:

-**تعريف السلوك:** هو كل شيء يصدر عن الانسان أو الحيوان وما يستطيع الاخرون ملاحظته وقياسه.

وقد استقر علم النفس في الوقت الحاضر على دراسة سلوك الانسان سواء كتن فطري او مكتسب، فردي أو جماعي، سوي، شاذا، ظاهريا أو باطنيا، شعوريا أو لا شعوريا.

إن علم النفس يوفر لنا إجابات على أهم الأسئلة المتعلقة بالسلوك الإنساني وهي: ما أنواع السلوك الذي يصدر عن الإنسان؟ 2- كيف يحدث؟ -3لماذا يحدث؟

إن السلوك مايفعله وما يقوله وأي كل ما يصدر عنه من نشا عقلي كالإدراك و التفكير والتخيل وكل مانشعر به من تأثيرات وجدانية (كالإحساس باللذة والألم)

-أصل التسمية وموضوعه :

لقد كان الفلاسفة سابقا يهتمون بدراسة حقيقة أو جوهر النفس وعلاقتها بالجسم. أما في العصر الحديث فقد نزعت الصبغة الفلسفية عن علم النفس وأصبحة يطلق عليه" سيكولوجيا"

وتتكون من مقطعين لهما أصل يوناني هي Psyche:وهي تشير إلى الروح، أما المقطع الثاني logos سيكو – لوجيا فهو يفيد معنى العلم أي البحث الذي له أصول منهجية علمية. العلم الذي يبحث في الظواهر الشعورية واللاشعورية.

-**علم النفس** هو الدراسة العلمية للسلوك والعقل والتفكير والشخصية، ويمكن **تعريفه** بأنه: "الدراسة العلمية لسلوك الإنسان، وذلك بهدف التوصل إلى فهم هذا السلوك وتفسيره والتنبؤ به.

2-أهداف علم النفس:

1-الفهم:

يتمثل الهدف الأول لعلم النفس بالإجابة على السؤال: كيف ولماذا بحدث السلوك؟ إن كل واحد منا يريد أن يعرف كيف تحدث الأشياء؟ ولماذا تحدث على الشكل الذي فيه، ونحن نشعر شعورا أفضل عندما نستطيع أن نفسر ظاهرة ما، وكثيرا ما قيل إن الفهم عبارة عن الهدف الأساسي للعلم. إن الإنسان بطبيعته مدفوع نحو الفهم وإزالة الغموض ويحارب ما لا نعرفه عادة.

2-التنبؤ: يتمثل الهدف الثاني في الإجابة عن الأسئلة متى؟ وماذا؟ إن محك أو معيار الفهم الذي يتبناه العلم هو التنبؤ، ولذا يمكن القول إن أي محاولة لزيادة الفهم ذات قيمة حين تكون نتائج الوصف هي التنبؤ الدقيق عن الظاهرة ذات الصلة من ناحية أو حين يؤدي الوصف إلى التنبؤ عن ظواهر أخرى ذات علاقة بالظاهرة الأصلية، ففي العلم تقيم المفاهيم والنظريات من خلال المدى الذي تسمح فيه بإجراءات التنبؤات التي لم يكن بالإمكان أن تحدث في غياب هذه المفاهيم، إن إجراء التنبؤات تشكل دوافع ذهنية معرفية لدى الفرد إذ تشكل حلولا، والفرد مدفوع بطبيعته لإيجاد حل لمشكلاته.

3-الضبط: يعنى الضبط في المختبر قدرة العالم في أن يتحكم ببعض العوامل المستقلة لمعرفة آثارها في العوامل التابعة وهذا يستدعي الضرورة ضبط بعض خصائص العالم الخارجي، وكذلك بعض الخصائص المتعلقة بالفرد موضوع الدراسة، إن محاولة ضبط العوامل هو الذي يميز العالم عن الإنسان العادي، فالعالم لا يصدر أحكامه إلا بعد عدد من الملاحظات المضبوطة التي تسمح له بإصدار حكم فيه درجة من التعميم.

3-أهمية علم النفس:

أهمية هذا العلم أنه يظهر لنا سلوك الناس وتصرفاتهم وأعمالهم من حيث هي المظهر للحياة النفسية التي يعيشها الإنسان بوصفه كائنا حيا له ناحيته الوجدانية التي تحدد مواقفه وعواطفه نحو غيره، لأن الإنسان ليس آلة تتحرك بغير وعي ولا إدراك ولا شعور، ويجب أن ننسى يستمد اخلاقه وشخصيته من نفسه التي تنطوي على الضمير الخفي والمشاعر الباطنية، وهي التي تشكل سلوك الإنسان خيرا كان أم شرا، وتظهر أهميته بصورة أوضح إذا استعرضنا فروعه أو ميادينه.

علم النفس وفروعه

أ-الميادين(الفروع) النظرية:

تتمثل الميادين النظرية بدراسة الظواهر النفسية التي تتضح في السلوك الخارجي للتوصل إلى قوانين عامة تحكم تلك الظواهر ومنها:

-**علم النفس العام:** هو أساس جميع الفروع الأخرى يهدف إلى الكشف عن المبادئ والقوانين التي تفسر سلوك الإنسان بوجه عام.

علم النفس النمو: يدرس مراحل النمو المختلفة التي يمر بها الفرد في حياته والخصائص السيكولوجية لكل من الطفولة إلى الشيخوخة.

علم النفس الفارقي:

يهتف إلى دراسة الفروق بين الأفراد والجماعات من حيث الذكاء، الشخصية، الاستعدادات والمواهب الخاصة.

- علم النفس الاجتماعي:

يدرس تفاعل الفرد واتصاله بالمجتمع الذي يعيش فيه مع الآخرين ومع بيئته وتأثيره وتأثره بهم باعتباره كائن اجتماعي وهو بذلك يهتم بدراسة العلاقة بين الفرد والجماعة تنشئة الاجتماعية، سيكولوجية الجماهير، الدعاية، الرأي العام، الشائعات، الاضطرابات .... إلخ.

- علم النفس الشواذ (علم النفس المرضي) :

هو العلم الذي يقوم بدراسة الحالات الغير عادية أو الغير سوية، كسلوك المعاقين والموهمين والمختلين، كما أنه يبحث في سلوك الحوينات المختلفات من خلال التجارب المخبرية عليهم.

ب- الميادين (الفروع)التطبيقية:

تهدف الميادين التطبيقية إلى تطبيق المعرفة النظرية من مفاهيم ومبادئ حول السلوك إلى مواقف علمية ومنها علم النفس التربوي يهدف إلى حل المشكلات التي تحدث في المجالات التربوية والميادين التعليمية والتعلمية.

-علم النفس العمل والتنظيم:

يهدف إلى رفع مستوى الكفاية الإنتاجية للعامل أو للجماعة العاملة وذلك عن طريق حل مشاكلها المختلفة التي يطغى على ميادين العمل وذلك عن الاهتمام بالمناخ التنظيمي والاجتماعي الذي يكفل أجود وأقصر وقت ممكن وبأقل مجهود، كما يهتم ويدرس أنسب الظروف الطبيعية للعمل مثل: الإضاءة، التهوية، درجة الحرارة...

-علم النفس التجاري:

يهتم بدراسة دوافع الشراء وحاجات المستهلكين وتقدير اتجاهاتهم النفسية نحو المنتجات الموجودة، وذلك من خلال اجراء الاستفتاءات، ويدرس كذلك طرق التفاهم بين البائع والمشتري ودوافع الشراء والبيع والاتجاهات النفسية نحو السلع عن طريق البحث في سيكولوجيا الإعلانات وتصميمها وتكوينها ونوعها وحجمها وموضوعها.

- علم النفس الجنائي:

يدرس العوامل النفسية الشعورية واللاشعورية التي يحتمل أن سكون لها الأثر في جميع من يشتركون في عملية التحقيق والحكم (القاضي، المدعي، الشهود، الرأي العام، المحامي) ولا يهتم بالدافع التي ادت بالمتهم لارتكاب الجريمة بقدر ما تبحث في أقواله أمام القاضي، محاكمته أثناء القبض.

-علم النفس الإجرام:

يدرس الدوافع الشعورية التي تحفز عل ارتكاب الجريمة ودوافعها، وأفضل الطرق لعلاجها مستخدما الأسلوب العلمي في العلاج.

-علم النفس الحربي:

يطبق مبادئ علم النفس على الجيش لزيادة كفاءة القوات المحاربة وتستخدم الاختبارات النفسية ويهتم بتاهيل الجنود وتوزيعهم على الوحدات بما يناسب قدراتهم واستعدادتهم النفسية، ويطبق مبادئ التعلم في برامج التدريب العسكري وكذلك يدرس سيكولوجية القيادة والروح المعنوية والدعاية والحرب النفسية، ويهتم بتأهيل الجنود بعد القتال المصابين بصدمات نفسية وتشوهات بدنية. لدراسة الدوافع والانفعالات والذكاء، التفكير، الانتباه والتعلم، والتي تعم جميع الأفراد بغض النظر عن الحالات الخاصة.

مناهج البحث في علم النفس

كغيره من العلوم الإنسانية يطبق علم النفس مناهج علمية في بحث الظواهر، ونظرا لتعدد الظاهرة الإنسانية فإن هذا العلم يطبق مناهج بحث مختلفة وفق الظاهرة المدروسة ومناسبة لمتغيرات الدراسة المقترحة وذلك بالطبع وفق شروط محددة، ويجب الإشارة هنا أن الظاهرة الإنسانية مختلفة عن الظاهرة الطبيعية كون:

- الظاهرة الطبيعية ثابتة نسبيا على خلاف الظاهرة الإنسانية الأكثر تغييرا.
- تعقد الظاهرة الإنسانية كونها تتأثر بعوامل مختلفة على خلاف الظاهرة الطبيعية المتميزة بالبساطة النسبية.
- إمكانية التجريب وإعادة التجريب في الظاهرة الطبيعية غير أن الظاهرة الإنسانية وحيدة.

لقد تعددت أسماء المناهج المستعملة كقولنا المهج التاريخي، الوصفي، التجريبي، الإكلينيكي، وأيا كان المنهج فإنه يتبع خطوات البحث العلمي من تحديد المشكلة، ووضع الفرضيات، وتنفيذ التصميم

التجريبي، والتأكد من النتائج وصياغة القوانين، ومهما اختلفت التسميات فإنه يمكن تصنيف هذه المناهج إلى: المناهج الوصفية، المناهج التجريبية، المناهج الإكلينيكية.

أ-المنهج الوصفية:

من أقدم المناهج وتتناول دراسة التاريخ التطوري لبعض ظواهر النمو كدراسات داروين (C.Darwin) (1709-1882) وتيرمان (Terman. Lewis Madison 1877-1956) وجيزل (Gesell) (Gesell. Arnold Lucius) (1880-1961)، وغيرهم، وتسعى هذه الدراسات الوصفية إلى تتبع الظاهرة الإنمائية والسلوكية كاللغة والنمو الفسيولوجي والاجتماعي والتغيرات التي تطرأ على المتعلم في مراحل نموه، والدراسات الوصفية التطورية تأخذ شكلين:

- **الدراسات الطويلة** (الطولية): يتتبع فيه الباحث الظاهرة لمدة طالت (بضع سنوات) أم قصرت (بضعة أشهر). هي طريقة تتطلب الجهذ والوقت الكبيرين.
- **الدراسات المستعرضة:** على خلاف الأولى هذه الطريقة توفر الجهد والوقت فمثلا عند دراسة نمو اللغة عند الطفل فعوضا عن تتبع الظاهرة لفترة عمرية معينة فتقسم الفترة الزمنية المراد تتبع الظاهرة عبرها إلى فترات عمرية ثم تأخذ عينات كبيرة منها تغطي هذه الفترة العمرية الفرعية.

ب- المنهج التجريبية:

من المناهج الأكثر دقة وموضوعية لأنه يعتمد على ضبط والتحكم في المتغيرات المراد دراستها. والتجريب هنا ليس مثل التجريب في العلوم الأخرى، إذ يدرس الباحث المتغيرات التي اختارها من الظاهرة ويُحدث في بعضها تغييرا مقصودا ليتوصل إلى العلاقات السببية، والتجربة تتكون من:

1-المتغيرات: ومن المتغيرات لدينا:

- المتغيرات المستقلة: (الحرة) وهي المتغيرات أو العوامل التي يتحكم فيها الباحث ليرى أثرها على المتغيرات الأخرى.
- **المتغيرات التابعة** (المقيدة) وهو السلوك أو المتغيرات التي لا يتحكم فيها الباحث والتي يتوقع أن تتأثر بالمتغيرات الحاصلة على العوامل المستقلة فيلاحظها ويقيسها.
- **المتغيرات الدخيلة** وهي المتغيرات المتعلقة بأفراد العينة أو بالشروط العامة والمحتمل تأثيرها على الظاهرة المدروسة (نتائج الدراسة)، فعلى سبيل المثال إذا أراد الأستاذ معرفة تأثير طريقة تدريس

ما على تحصيل التلاميذ فطريقة التدريس تعتبر المتغير المستقل، والتحصيل الدراسي المتغير التابع، والظروف العامة (حرارة الجو، ظروف العمل وذكاء المتعلمين ....) المتغيرات الدخيلة.

2- **المجموعات** وهي العينة، وهي مجموعتين على الأقل لإجراء أي دراسة، تسمى إحداهما المجموعة الضابطة والأخرى التجريبية، يشترط في هذه المجموعات التكافؤ في العديد من المتغيرات: المستوى الدراسي مثلا الجنس، الذكاء... إلا أن المجموعة التجريبية تخضع المعامل المستقل، وحتى تصبح الظاهرة التربوية قابلة المدرسة يجب أن تتوفر فيها شروط منها:

- القدرة على التحكم في العوامل المستقلة.
- القدرة على قياس العامل أو العوامل التابعة.
- القدرة على ضبط العوامل الدخيلة.
- تمثيل العينة لمجتمع الدراسة.

جـ- المنهج الإكلينيكي:

في الأصل هذا المنهج مرتبط بدراسة الظواهر غير العادية (المرضية) كما تدل عليه كلمة كلينيك (Clinique) علما أن طرق دراسة الحالات قد تختلف من حالة لأخرى. غير أنها تشترك في بعض النقاط منها:

- جمع المعلومات عن الحالة وذلك بمختلف الطرق بالفحص الطبي، والأسئلة، والاختبارات السيكولوجية (اختبارات الذكاء، والشخصية)
- التشخيص أي تحديد مواطن القوة والضعف وذلك بالاعتماد على المعلومات التي جمعت بعد دراستها وتحليلها بمختلف الطرق.
- وضع العلاج المناسب وهذا بعد وضع الفروض التي يعتقد الباحث أنها مناسبة لعلاج المشكلة المدروسة.

وما نود الإشارة إليه هنا أن المنهج يُختار حسب نوعية الظاهرة المدروسة وطبيعتها، فالظواهر العادية تدرس بمناهج بحث وصفية إذا كانت تعبر عن متغير واحد مثل جوانب النمو المختلفة كاللغوية والجسمية والعقلية والاجتماعية أو الظواهر المنفردة كخصائص المتعلم الموهوب مثلا والتعلم الفعال، أما إذا تعلق الأمر بالظواهر الخاصة كالقلق والضعف العقلي فإنها تدرس

بالطرق الإكلينيكية مثلا. أو دراسة الحالة (التي هي منهج وصفي) التي قد تكون فردا أو مجموعة من الأفراد أو قسما دراسيا أو حتى مدرسة، ويبقى علم النفس يستعين بالعلوم الأخرى كالرياضيات والإحصاء وطرقها للكشف عن الموضوعات التي يتناولها.

مدارس علم النفس

1-مدرسة التحليل النفسي :

من أنشأ هذه المدرسة هو الطبيب و عالم النفس النمساوي الشهير سيغموند فرويد (1856 – 1939 م) و وتلميذه كارل يونغ (1875 – 1861 م) و آلفرد آدلر (1870 – 1938 م) و من أهم إسهاماتها في تفسير السلوك الانساني ما يلي :

– قدم فرويد مفهوم اللاشعور و الجانب غير الواعي في الشخصية وأعطاه مساحة كبيرة

– ضمن هذا التوجه يرى فرويد أن الفرد تتحكم فيه الدوافع الكامنة وراء اللاشعور .

– التأكيد على أثر العوامل و الدوافع اللاشعورية في سلوك الفرد ، حيث ترى أن ما يحكم السلوك الظاهري للفرد و يوجه هي قوى داخلية تتمثل في مجموع الغرائز البدائية و الدوافع اللاشعورية

– التأكيد على أهمية مرحلة الطفولة المبكرة و تأثيرها البالغ في تكوين شخصية الطفل .

– وضعت هذه المدرسة أساليب عدة في نقل المكبوتات من اللاشعور إلى الشعور منها : التنويم المغناطيسي ، التداعي الحر ، تفسير الأحلام ، فلتات اللسان ...

2- المدرسة السلوكية :

نشأت هذه المدرسة في الولايات المتحدة الأمريكية و روسيا و من أبرز رواد هذه المدرسة الأمريكي " جون واطسن " (1878–1958) و الأمريكي سكينر (1904– 1992) و الروسي إيفان بافلوف (1849– 1936) .. الخ ، ومن أهم إسهاماتها في تفسير السلوك الإنساني ما يلي :

– النظر إلى علم النفس على أنه علم سلوك الذي يمكن ملاحظته قياسي مثل (البكاء ، الغضب) و يتجاهل أصحاب هذه المدرسة دراسة العقل و الشعور ، الإرادة ، الصور الذهنية ، لأن هذه الموضوعات غير ممكن ملاحظتها بشكل مباشر فأصحاب هذه النظرية لا يصفون الشخص "السعيد"، لأن السعادة حالة شعورية (العقل) و العقل لا يمكن ملاحظته ، و بدل من ذلك فإنهم يهتمون بوصف إبتسامته أو استجابات اخرى دالة على ذالك . لأن هذه المدرسة تركز فقط على السلوكيات التي نستطيع ملاحظتها مباشرة اقتناعا منها أن قوة الأسلوب العلمي قائمة على توظيف الملاحظة الموضوعية الداخلية.

– أن السلوك ضمن هذه المدرسة يقوم على أساس وجود (منبه) أو مثير يؤدي إلى حدوث إستجابة

– ضمن هذه المدرسة يتم تجاهل تأثير الاستعدادات الفطرية الموروثة في تشكيل سلوك الفرد .

3- المدرسة الانسانية :

في الخمسينات من القرن العشرين ظهر اتجاه جديد في مجال علم النفس في الولايات المتحدة الأمريكية ، و أبرز أعلامه : أبراهام ماسلو ، كارل روجرز ، و يسمى هذا الاتجاه بالقوة الثالثة على أساس أن السلوكية و التحليلية يشكلان القوتان الأولى و الثانية ، و قد لاقى هذا الاتجاه قبولا واسعا لأنه منح الانسان احتراما و كذلك سمي بالاتجاه الانساني و من أهم المنطلقات الأساسية لهذا الاتجاه في تفسير السلوك الإنساني نذكر ما يلي :

– الانسان خير بطبيعته ، و هو مدفوع بفطرته لفعل الخير ، و غير هذا فهو عارض لاضطراب يمكن التخلص منه .

– الفرد له الحرية في اختيار سلوكاته و قراراته و هو يتمتع بالوعي و الارادة .

– الفرد مدفوع دوما نحو تحقيق النمو و التطور نحو الأفضل.

– يرى أن حياة الانسان متمثلة في الوقت الحاضر و ليس الماضي .

– أن الانسان في حالة خبرة و تفكير .

– فهم السلوك الانساني إلا عن طريق دراسة الإدراك الذاتي لكل فرد ، لأن العالم ليس واحدا لكل الأفراد ، فالفرد اذا أدرك العالم أنه يتسم بالسعادة ، شعر بالأمان ، و بالقلق إذا أدرك أن العالم يتصف بالعدوانية التي تسود .

– أوجدت المدرسة الانسانية أسلوبا علاجيا قائما على اتجاهها الإنساني هدفه الأساسي هو مساعدة الأفراد على تنمية طاقاتهم .